أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾[1].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾:

تعريف بالله في خالقيته المدبرة لما خلق، توحيداً له في تدبير الخلق كما في الخلق رغم ما يزعمه المشركون انه هو الخالق ولشركائه التدبير.

ومثلث ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ تعبير عن الكون المخلوق كله، و﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هي الأوقات الستة للخلق وقد فصّلت في «فصّلت» وإنها ليست من أيام هذه الأرض، لأنها مقياس زمني ناشئ عن دورتها، فأين هيه قبل خلقها وخلق السماوات، فهي من أيام الله التي لا يعلمها إلّا الله، اللهم إلّا شبحاً بعيداً لنوعيته، دون حده وقدره.

والعرش المستوى عليه هنا هو عرش التدبير بكافة شؤون الربوبية، وهو عوان بين العرش قبل هذا الخلق حين ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[2] والعرش بعد الدنيا ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[3] والعرش العوان هو عرش التدبير: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ﴾[4] ومنه إغشاء الليل النهار: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾[5] عرش الفعالية لما يريد: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[6] وكذلك عرش العلم: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ . . .﴾[7].

ولأن الولاية هنا والشفاعة هنا وهناك هي من شؤون عرش التدبير

(١) سورة طه، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤.
(٢) سورة هود، الآية: ٧.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.
(٤) سورة يونس، الآية: ٣.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٦) سورة البروج، الآيتان: ١٥، ١٦.
(٧) سورة الحديد، الآية: ٤.

الموحّد، إذا فـ ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ يلي أمركم وأمر الخلق كله لأنه هو ذو العرش ﴿وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ عنده في تكوين أو تشريع ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بعد ذكريات الفطرة والعقلية والشرعة الربانية: أنه هو الولي والشفيع لا سواه فانى تؤفكون وتصرفون، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[١]؟

وترى كيف يكون الله هو نفسه شفيعاً، فعند من يشفع إذا كلّ مشفوع له؟ وهو الذي يشفع عنده! ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾[٢]؟.

علّه لأن الشفعاء عنده لا يشفعون إلّا بإذنه، إذا فهو الشفيع عنده باذنه، إذ ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ﴾[٣] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[٤] ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٥].

والشفاعة - ككل - وهي انضمام سبب إلى آخر يكمله، إنها في تكوين وتشريع خاصة بالله، لأنها من شؤون عرش التدبير لكل شيء، فقد يشفع الله إسماً من أسماءه بإسم آخر منها إتماماً لتدبير ما يدبره، كشفع شارعيته بغافريته للتائبين، أم يشفع إسماً منها بحالة لخلقه كشفع غناه بفقرهم، بل كل تدبيره لخلقه ولاية وشفاعة في كافة حقول الربوبية.

ومن ذلك شفاعة العاصين، حيث يشفع عصيانهم بطاعة لهم، أم وبمقرب عنده، شفعاً لهما بغافريته وإكرامه للمقربين، فتتحقق الشفاعة بحق المشفوع لهم.

إذاً فلا مشكلة في شافعيته عنده حتى تؤول بما لا تتحمل، من تكلفات لفظية ومعنوية تبعد عنها ساحة الذكر الحكيم.

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة يونس، الآية: ٣.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥١.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾:

ذلك يوم التدبير ربوبياً يوم الدنيا، وهو واحد زمنه عند ربك ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1] وهو/ ٣٥٥٠٠٠ ضعفاً بالنسبة ليوم عندنا، وعلّ خمسين ألف المعارجي هو واحد الزمن الربوبي في تدبير الأخرى، وألف السجدة كألف الحج هو واحد الزمن الربوبي يوم الدنيا، فقد ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ ككل ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ وهو أمر تدبير الأرض ومن عليها ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ فـ ﴿يُدَبِّرُ﴾ التي تقابل ﴿يَعْرُجُ﴾ مضمّن معنى النزول، أنه ينزل الأمر تدبيراً من السماء إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ذلك الأمر، وعروجه كنزوله هما من تدبيره.

ثم ﴿فِي يَوْمٍ﴾ هل هو زمن النزول والعروج جميعاً فلكلّ نصف يوم؟

وهو ظاهر التعبير، أم هو فقط يوم النزول دون العروج؟ فلماذا أخر إلى العروج! أم هو العروج دون النزول؟ كأنه هو!، فإن ﴿يُدَبِّرُ﴾ بيان لأمر التدبير المستمر يوم الدنيا، و«ثم» الدالة على التراخي يؤخر ذلك العروج عن كل التدبيرات في النشأة الأولى وهي يوم الدنيا، فقد يكون عروج أمر التدبير للربوبية الأولى ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ كموقف واحد من المواقف الخمسين يوم الأخرى[2].

فكما أن يوم الدنيا لخلقها أيام: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾[3] وهو ستة أيام

(١) سورة الحج، الآية: ٤٧.

(٢) نور الثقلين ٤: ٢٢١ في تفسير القمي في الآية يعني الأمور التي يدبرها والأمر والنهي الذي أمر به واعمال العباد كل هذا يظهر يوم القيامة فيكون مقدار ذلك اليوم ألف سنة من سني الدنيا.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

حسب التقسيم الداخلي لزمن الخلق، وكذلك يومها بعد خلقها أيام، فقد يكون يوم الأخرى - وبأحرى - أياماً، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون.

ولأن يوم الأخرى ليست لها نهاية بالنسبة لأصحاب الجنة، فخمسون ألف سنة قد تختص بما قبل دخول كل من أهل الجنة والنار مثواه، وقد ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[١] وهو واحد الزمن الربوبي المعارجي، المفصلة في المعارج.

هنا وفي الحج ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٢] مهما اختلفت العندية هنا وهناك، ثم لا نجد في المعارج «عند ربك» مما يلمح أن يوماً فيها خمسون يوماً عند ربك[٣]، وقد جمعها ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٤] يوم قد يعني منه الأيام الخمسون.

وكما أن الأيام الستة للخلق تختلف عن أيامنا، كذلك يوم العروج إلى الله ويوم المعارج، وعلى الجملة «يوم» كواحد الزمان «عند ربك» يختلف عن كل أيامنا في تقديراتنا الزمنية كما فصلت في تفسير المعارج.

وعلى أية حال فعروج أمر التدبير إليه وفيه انهدام الكون أرضياً وسماوياً يتطلب في العادة ألف سنة، ولكنه يحصل في يوم وهو واحد الزمان وهو الحركة الأصلية للمادة الأولية وكما فصلناها في المعارج.

فأمر الله ككل واحدة كلمح بالبصر: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ

(١) سورة المعارج، الآية: ٤.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٧.
(٣) نور الثقلين ٤: ٢٢٢ في أمالي الطوسي بأسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في كلام طويل: فإن في القيامة خمسين موقفاً كل موقف مثل ألف سنة مما تعدون ثم تلا هذه الآية ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]
أقول وهذه الرواية متظافرة ذكرت في تفسير آية الحج وآية المعراج.
(٤) سورة المعارج، الآية: ٤.

﴿بِٱلْبَصَرِ﴾[١] ثم ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[٢] وكأن هذه الواحدة هي يوم عند ربك كألف ﴿سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بياناً لنفاذ أمره وسرعته.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾ الله العظيم، الخالق المدبر الحكيم، هو لا سواه ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ على سواء، إذ لا غيب عندنا إلّا وهو شهادة عنده، وكثير من الشهادة عنده غيب عندنا وهو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في علمه وقدرته ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في قدرته وعلمه وعزته، فإن الغيب أياً كان، ما لم يكن أو كان[٣]، والشهادة على أية حال، كل ذلك عنده شهادة.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾:

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ﴾ أن ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٤] فإنه من إحسان خلقه، كما أحسن كلا من الخلق والهدى لكلّ ما خلق وهدى، فلا أحسن مما فعل ولا اتقن، ومن ذلك: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ والمبدء هو آدم الأوّل حيث خلق قفزة من طين، مهما خلق نسله من أصول طينية ولكنه دون قفزة حيث تحولت إلى ماء مهين.

أترى ليس في خلق الله قبيح ولا غير حسن؟ وذلك ملموس! أم إنه ليس من خلق الله؟ وهو الذي ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ...﴾[٥]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[٦].

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٠.
(٢) سورة النحل، الآية: ٧٧.
(٣) تفسير البرهان ٣: ٢٨١ عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية الغيب ما لم يكن والشهادة ما قد كان» أقول ما لم يكن هو من أغيب الغيب كما ومما كان غيب، وما قد كان ليس كله شهادة، وإنما جله.
(٤) سورة طه، الآية: ٥٠.
(٥) سورة طه، الآية: ٥٠.
(٦) سورة الفرقان، الآية: ٢.

ليس يعني ﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ أنه خلق كل شيء سواء في الحسن، وإنما هو إحسان لكل خلق على حدّه، فهو إتقان وإحكام[١] لكل خلق حسب الحكمة الربانية بالظروف المواتية والملابسات المقتضية.

فلكل جماد ونبات وحيوان وإنسان أو ملك وجان شاكلة روحية وجسدية أمّا هية، هي - ككل - قضية الحكمة كضابطة لكلّ، أم قضية الملابسات كالعور والعمى والصم والشلل أما ذا من عوارض هي حصيلة الكيفية الخاصة لأصول الولادة وكيفيتها وما يطرء الولائد من طوارئ، فالخلق متقن على أية حال، فهو حسن من الخالق على أية حال، والنقائص الطارئة هي من خلفيات التخلفات الولادية قصوراً أو تقصيراً.

ثم القبح بين سائر الخلق خلقياً أصلياً ليس إلا نسبياً، فإذا كان العقرب والحية والسرطان وقسم من سائر الحيوان قبيحاً في نظرنا ومنظرنا قياساً لها إلى أنفسنا، لم يلزمه واقع القبح لكلّ بين قبيله ومثيله، فعلّنا نحن الأناسي أيضاً عندها كما هي عندنا، وكل حسب الواقع والحكمة حسن متقن في خلقه وهداه كما أعطى الله، مهما كان الحسن في الخلق درجات و﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[٢] رغم أنه ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾.

فالحكم بقبح أو غير الحسن لخلق من الخلق ليس إلّا نتيجة قصور النظر، أو القياس إلى الأحسن أو الحسن في المنظر، وليس يختص واقع الحسن للخلق بمنظر الإنسان أو أياً كان من الناظرين القاصرين، وعلى ضوء تقدم العقل نحصل على محاسن في الخلق كنا نحسبها مقابح.

فمن الحسن الجامع للخلق ككل أنك ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن

(١) الدر المنثور ٥: ١٧٢ - ابن عباس عن النبي ﷺ في الآية قال: أما إن است القردة ليست بحسنة ولكنه أحكم خلقها.
(٢) سورة التين، الآية: ٤.

تَفَٰوُتٖۚ﴾[١] أجزاء كل خلق في كله، وافراد كل خلق في مجموعه، فلا تفاوت ولا تناحر هنا وهناك إلّا ما يخلقه المتخلفون من خلق الله، غير المتخلقين بأخلاق الله ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾[٢].

فلأن الحسن في الخلق وهداه ليس إلّا على ضوء العلم المطلق والقدرة غير المحدودة والحكمة العالية والرحمة الشاملة دون نفاد في شيء منها ولا كساد ولا بخل وضنّة، فلا يعقل أن يحصل غير الحسن المتقن كما يصلح وأمكن، من الله العليم الحكيم القدير العلي الكبير.

فـ ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٖ﴾[٣] ومعيار صالح لنظام الكون ككلّ، دون إفراط ولا تفريط، من كل ذرة صغيرة إلى أكبر الأجرام، من خليّة ساذجة إلى أعقد الأجسام، ففي كلّ يتجلى كل إتقان وإحسان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤]! ومن الحسن المزدوج خلقاً وهدى أن كلا مصنوع ليؤدي دوره المقسوم في رواية الوجود، مزوداً بمعدات صالحة ليؤدي دوره الآهل له تمام التأهيل، بتعجيل أو تأجيل، ولا خائن أخون في حمل الأمانة من الإنسان ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾[٥]! ثم سائر الكائنات تؤدي دوراتها المقررة لها حسب مراتبها وإمكانياتها إلّا أن يعرقل المسير ويصد المصير من قبل شرير ليست عرقلته من خلق الله، بل هي اختلاقة منه قضية الإختيار.

العين المعاينة في غير عمى وعمه، والعقل الخبير والقلب البصير يتحلى من جمال الكون الكثير الكثير، ممنوحة برصيد ضخم من ذخائر الحسن

(١) سورة الملك، الآية: ٣.
(٢) سورة الملك، الآيتان: ٣، ٤.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٨.
(٤) سورة الرحمن، الآية: ١٣.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

والجمال، مسكوبة في القلب بكل جلال ودلال، عائشة في ذلك المهرجان العظيم البديع، متملية آيات الإحسان والإتقان في كل ما يدرك أو يحس ويلمس بالحواس من الخمس.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾:

بداية خلق الإنسان من طين، تقضي على نظرية أو فرضية النشوء والارتقاء الداروينية أن الأنواع تسلسلت من الخلية الواحدة في أطوار متتالية إلى الإنسان، وأن هناك حلقات نشوء وارتقاء متواصلة تجعل الإنسان في أصله المباشر الأوّل حيواناً بين القردة والإنسان.

وهذا التطور المزعوم ضرب من المستحيل في سنة التكوين، فهناك عوامل وراثة كامنة في كل خلية تحتفظ بخصائص نوعها دون تفلّت وتبعثر، محتمّة أن تظل في دائرة النوع الذي نشأت منه دون تطوّر إلى نوع جديد، كما الاستقراء في حالات الخليّات تؤكد ذلك الحفاظ الصارم لنوعياتها في ذواتها.

فالقطّ أصله قط وسيظل - قط - قطّاً على طول الخط، وكذلك الكلب والثور والحصان والقرد والإنسان، ولا يملك دارون في فرضيته القاحلة الجاهلة إلّا نفسه وأتباعه أنهم هم - فقط - من القرد، كما هم عاشوا في صورتهم الإنسانية قرداً، وحتى إذا صح تبدل نوع إلى آخر أم وكان واقعاً، فواقع خلق الإنسان الأوّل حسب النصوص القرآنية - وهذه منها - إنه بادى من طين، ولو كان تطوراً من حيوان آخر أم من الخلية البسيطة الأولى لكان حقّ التعبير ذكره، وآيات خلقه صريحة أن بدءه من طين دون حيوان آخر أم شيء سوى طين.

كما وأن خالجة خلق آدم كنسله هو من إنسان قبله، هذه خارجة عن صراح الآيات، وما آية اصطفاءه آية انتساله من آخرين: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ

ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] إذ يكتفى لاصطفائه أن كانت معه زوجه وولده، ثم «العالمين» الشامل لهم منذ خلق آدم إلى يوم الدين يوسع نطاق اصطفاءه كزملاءه، فقد اصطفى الله منذ البداية إلى النهاية آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين» وهم النبيون والمعصومون أجمعون، طيّاً لأدوار الزمان وأنحاء المكان، جمعاً بين العالمين ككل، وجمعاً بني المصطفين عليهم ككل.

هنا ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ يعم أصله ونسله، والفصل بين أصله ونسله أن أصله - وهو آدم الأول - بدء من طين ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾.

﴿مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ هو المني، و﴿سُلَٰلَةٍ﴾ منه هي النطفة، وهي الدودة المنوية التي تتحول إلى جنين، فليس الماء المهين بكله نسل الإنسان، بل سلالة منه هي النطفة الجرثومية.

و﴿نَسْلَهُۥ﴾ هنا هو الانتسالات والتطورات الجنينية التي تخطوها سلالته إلى جنين كامل، المدلول عليها بـ«سوّاه»:

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾:

﴿ثُمَّ﴾ هنا تراخي اكتمال الجنين جسدياً من سلالته، فإنها تتحول إلى علقة إلى مضغة إلى عظام وإلى كسو العظام لحماً - ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ هنا هو ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ﴾ هناك، وقد تعم ﴿سَوَّىٰهُ﴾ الإنسان ككل، أصله ونسله مهما اختلفت التسويتان، قفزة من طين في الأولى، وتطورات الجنين في الأخرى.

ولا تعني ﴿مِن رُّوحِهِۦ﴾ بعضاً من روح الله نفسه، إذ ليس له روح وسواه

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

من أجزاء كونية مخلوقة كخلقه، وذلك النفخ ولادة وليس خلقاً! فإضافة الروح إلى نفسه المقدسة هي إضافة تشريفية، حيث الأرواح المخلوقة درجات، من نباتية إلى حيوانية إلى جنينية أما هيه إلى إنسانية، وهذه أعلاها وأرقاها، لحدّ تستحق الانتساب الخاص إلى الله، كأنها - فقط - هي الأرواح التي خلقها الله.

ثم ولا تقتضي الإضافة أدبياً كون المضاف جزء من المضاف إليه إلّا في زاوية واحدة من الأربع في الإضافات، من إضافة الشيء إلى نفسه كـ «نفسي» وإلى كله كـ «يدي» وإلى مغايره مخلوقاً كنفسه كـ «غلام زيد» أم خالقاً له كـ «روحه» فكيف تقدم زاوية إضافة الجزء إلى كله بين هذه الأربع، والبراهين الساطعة عقلياً ونقليا تثبت أن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[١] وأنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٢] وأنه «ليس هو في خلقه ولا خلقه فيه» فلا تجانس ولا تماثل بينه وبين خلقه أياً كان، روحاً وسواه.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ...﴾[٣] «لكم» هناك «سواه» هناك تعم الإنسان ككل، حيث الإنسان أياً كان، هو قبل نفخ الروح ليست له هذه الثلاث إلّا وسائلها أذنا وعيناً وقلباً، فلما ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ جعل به هذه الثلاث: السمع والأبصار والأفئدة - فالأولان هما من أهم النماذج في الإدراكات الحسية الخمس، والأفئدة وهي القلوب المتفئدة، هي أهم الإدراكات الروحية، وهذه الثلاث هي التي تتبنّى إنسانية الإنسان الكاملة الكافلة لعروجه في درجاته، وخروجه عن دركاته، وأنتم مع كل هذه النعم السابغة: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ مهما كان من قصور أو تقصير.

(١) سورة الشورى، الآية: ١.
(٢) سورة الإخلاص، الآية: ٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ٧٨.